رفيق صابر

أطول من الحياة

ترجمة: عبدالله طاهر البرزنجي

عنوان الكتاب: أطول من الحياة

إسم المؤلف: رفيق صابر

إسم المترجم: عبدالله طاهر البرزنجي

موضوع الكتاب: شعر كردي مترجم

تصميم: جبار صابر

الملتقى الثاني للثقافة العربية – الكردية

العراق – البصرة

21-22 تشرين الاول 2012

*** رقم الايداع في المديرية العام للمكتبات في وزارة الثقافة بحكومة اقليم كردستان (١٩٣٦)- ٢٠١٢**

حول تجربة رفيق صابر

من أهم الاجيال التي تلي جيل الرواد، أي جيل الحداثة الكردية الاولى، هو جيل السبعينيات او جيل الحداثة الثانية. ويعتبر رفيق صابر من ألمع الأصوات الشعرية التي برزت في الجيل الثاني. ومن أشهر الجماعات التي برزت في الحقبة الثانية، هي جماعة(روانكه) أي المرصد التي اصدرت في بداية السبعينيات بيانا أدبياً هاماً ، دعا موقعوه الى تجديد الادب بكافة أجناسه وإلى نبذ القوالب الفنية العتيقة والقيم المعنوية البالية ، والعودة الى النبع القومي الثري الأول ، للأفادة من جانبه الأنساني المشرق.

ضمت الجماعة كلاً من الشاعر المبدع شيركو بيكه س، والقاص الطليعي المتميز حسين عارف، والشاعر المعروف جمال شاربازيري والشاعر جلال ميرزا كريم والقاص كاكه مه م بوتاني . وقد ظهرت جماعة أخرى كانت تسمي نفسها في المقابلات الصحيفة والكتابات النقدية ، أحيانا، بجماعة كركوك ، ومرات بجماعة كفري. وهي بمثابة حركة او حلقة ثقافية نشطت في تلك الفترة قادها القاص والناقد الراحل لطيف حامد بمحاولاته التجديدية المتميزة في القصة

الكردية الحديثة ، متأثرا نوعا ما ، بتيار الرواية والقصة الحديثتين، الوافد الينا من الغرب، وبخطواته الحثيثة لنشر آراء جديدة في الحلقات النقدية والادبية، وإحضار نماذج أدبية حديثة ليفيد منها أعضاء الحلقة ، والتي كان الشاعر المبدع لطيف هلمت والشاعر المغترب سلام محمد من أبرزهم ، كان لطيف هلمت يمت بصلة قرابة الى لطيف حامد راعي حلقة كركوك .

كان أعضاء جماعة روانكه ، وجماعة كفري (لطيف هلمت، وفرهاد شاكلي والقاص المبدع احمد شاكلي) التي يحسبها لطيف هلمت في كتاباته ، مرات على جماعة كركوك ، ويعتبرها حلقة مستقلة عنها ، مرات اخرى، كانوا أحياناً يترددون إلى لطيف حامد ، في زياراتهم كركوك ، بغية الاستماع اليه عن كثب ومناقشة ارائه وتوجهاته النقدية والأدبية الحديثة . لقد كتب قصصاً في السبعينيات ، تميزت بطابعها الحديث البعيد جدا عن الموروث القصصي للرواد الاوائل . وكتب عدة مقالات شعرية جذبت انتباه شعراء الجيل الجديد، الأ أن المَنيَّة كانت له بالمرصاد ، فاختطفته في وقت كان الوسط الثقافي ينتظر منه الكثير.

نشأ شاعرنا رفيق صابر وبرز خارج إطار البيانات، بعيدا عن ثقافة الجماعات الأدبية ، وكأنه قد اقتنع منذ البدء ، بأن الإبداع مرهون بطاقات الفرد الذاتية ، وان البيان يرسم إطارا محددا يقيد جموحه ، يَدخله الاديبُ ، غير انه يضطر لمغادرته لاحقا. او ربما حال محيطه الجغرافي دون التقرب الى الحلقات الثقافية التي ظهرت ونشأت في المدن الكبرى، كمدينة السليمانية او كركوك او اربيل على سبيل المثال. وكان رفيق صابر يعيش في قضاء بعيد تابع

لمدينة السليمانية (قضاء قلعه دزه) ، إلا ان أرضية أخرى تهيأت له حين التحق بكلية الآداب ، قسم اللغة الكردية في جامعة بغداد . من هناك ، تمكن على نحو أفضل ، من الإطلاع على ما يَرِد الى المكتبات من العواصم الأخرى ، واحتضنته صحافة أبرز حركات اليسار في العراق (الحزب الشيوعي العراقي) ليمثل دوراً هاماً ، في القسم الثقافي لجريدة (الفكر الجديد) باللغة الكردية.

ولد رفيق صابر عام 1951 في قضاء قلعه دزه – محافظة السليمانية .تخرج في جامعة بغداد– كلية الآداب – قسم اللغة الكردية ، وحصل على الماجستير والدكتوراه في روسيا وبلغاريا ، وأصدر حتى الوقت الحاضر (16) مجموعة شعرية منها:

1- الجمرات تشتعل.

2- الوابل.

3- أطول من الحياة .

4- ملتقى النور .

5- ليليات .

6- المرآة والظل .

7- موسم الجليد .

8- انشودة حلبجة .

9- درب القافلة .

10- النجوى والشك .

11- لاترحلي مع هذا الفراق .

12- الشاهد .

13- الاشتعال تحت المطر .

14- فانوس المقبرة .

عمل منذ بداية السبعينيات في صحافة الحزب الشيوعي العراقي والتحق معهم بصفوف الثوار في جبال كردستان العراق . بعد سنوات غادر الوطن متوجها نحو المنافي. وعاد الى الوطن عقب اندلاع شرارة الانتفاضة العارمة. وفي منتصف 2007 أصبح رئيساً لمركز الدراسات الكردية، التابع في حينه الى مجلس وزراء الأقليم.

بعدئذ أُنتخب عضواً في برلمان اقليم كردستان العراق ، الا انه لَمْ يكمل الفترة المحددة للدورة اذ قدم استقالته فأحيل على التقاعد.

إضافة الى كتابة الشعر ، له كتب في مجال التأريخ والفكر واللغة. ترجمت قصائده و دواوينه الى اللغات الفارسية والعربية والسويدية والإنكليزية. وأصدر بالاشتراك مع الناقد والكاتب كمال ميراودلي انطولوجيا للشعر الكردي الحديث باللغة الانكليزية.

يلاحظ في شعره اهتمامه البالغ بتأنق الصور الشعرية مع نزوعه الواضح إلى الإفادة من عوالم النثر على صعيد اللغة ، ومن جراء ذلك نلمس ابتعاده عن التفخيم البلاغي وسطوته.

وعلى صعيد التقنية والبناء النثري يحيلنا الى استعارة البنية الحكائية لكثير من نصوصه الشعرية ، وإستثمار السرد لاغناء عو المه، وبخاصة في القصائد التي كتبها في التسعينيات . ومال الى توظيف لغة تقريرية سردية مباشرة في قصيدته (ذكريات في غرفة بلا جدران) المكتوبة عام (1973 بغداد) إنفتحت على لغة الأجناس الاخرى، يستطيع النقاد التوقف عندها لعدها بداية لإنفتاح الأجناس ، وإن كان الشاعر لا يعمد إلى كتابة نص مفتوح في حينه.

في مسيرة رفيق صابر طابعان شعريان هامان، الاول ينفتح على المرجعيات السياسية والاجتماعية والطبقية فتغدو سياقا واضحا لنصوصه ، بدون أن يهمل او يخسر القيم الفنية الجادة ، رغم ضغوط المحيط السياسي وكثرة الاحداث والمآسي القاتمة التي أثقلت بحمولتها كاهلَ شعراء العراق ، بل الشرق بشكل عام. أما الطابع الثاني فقد أضحى يمتلك بعدا انطولوجيا مفعما بطروحات وتساؤلات هامة حول الحياة والموت والزمن والقلق ، ويتجلى ذلك بكثرة في النصوص التي كتبها في المنافي ومحطات التشرد ومراكز الشتات :

كأن الزمان يفلت من وحشته
وكأن الكلام يفر من معانيه
وأنت من نفسك والحياة تتلو عريها في الانتظار
امام الزمان تبهت الالوان
وانت تلمس الماضي كجهر مخدر يهجد تحت الرماد
ترنو الى الحاضر مثل دروب المحال
كأن البرهة متساوية في التشابه
والمكان فضاء فارغ
لا من الردى مخاوفك، ولا من الحياة .

هناك ميزة واضحة لدى رفيق صابر، وهي ميله الى التثاقف وإستقاء رموز واساطير ومواضيع انسانية من ثقافة الأمم الاخرى وتراث شعبه العريق، وذلك عبر عملية التناص. وقد اتضح لي ان

معظمها جرى بشكل واع عبر إجراء آليات الامتصاص الفني والحوار والتشاكل . ففي مطولته (موسم الجليد) تلمس أثر تعالق نصه هذا بمقطع شعري للشاعر العراقي سعدي يوسف والشاعر الكردي نالي الذي عاش في القرن التاسع عشر و غادر البلد وأقام في الشام واستنبول . واندمج أيضاً مع اجواء نص للشاعر الكردي مولانا خالد الذي يعد من اكابر المتصوفة في كردستان والدول المجاورة. اذ انساق على أساس التشاكل وراء أجواء مولانا خالد ، ونالي الشهرزوري المحترق بنارين، نار فراق الحبيبة ونار البعد في المنفى.

يبدو ان ظروف الشاعر رفيق هي التي أوجدت هذا التعالق مع نصوص الشاعرين المذكورين نتيجة التشابه الحاصل في حياتهم الموسومة بميسم الغربة والمنفى .

وعبر آليات التناص أيضا يبني نصه (حسرات أوديسا) على قاعدة التماثل، ليعلن لنا في نهاية النص هيمنة البعد والفراق و التلاقي والوفاء . انتقى الشاعر لحظات تناص مع اوديسا وزوجته بينيلوبي ، وهي من اشهر الملاحم اليونانية العريقة، ليرمز ويشير بها الى حاضر الكاتب الذي يكمن وراء موقع الراوي المتكلم في النص . تحيلنا هذه القصيدة عبر ذكر اسماء (بينيلوبي و أوديسا و بوسيدون) الى أساطير وملاحم يونانية معروفة. وينقلنا عنوان النص (حسرات اوديسا) مباشرة الى ماجرى لأوديسا في ملحمة (اوديسا) لهوميروس (850 ق. م) فتحكي قصة عودته الى موطنه بعد حرب طروادة ، وما كابده اثناء العودة، من المشاكل العويصة في الطريق ، وسقوط اصدقائه ورفاقه ، والمخاطر التي تعرض لها وواجهها في البر والبحر.

القصيدة صياغة شعرية لملحمة مشهورة ، يتأمل فيها الشاعر ويقرؤها عبر الإتكاء على صوت واحد موجه الى بينيلوبي (زوجة أوديسا) التي لم يفقدها الانتظارَ، المعجبون بها وخصوم اوديسا للنيل منها ، واكراهها على اخضاعها لمشيئتهم ، والزواج منها في غياب اوديوس. يتداخل هذا النص الكردي الحديث مع مرجعه الملحمي اليوناني واجوائه ومضامينه، ليطلعَ الشاعر رفيق صابر القراءَ على حسراته هو في المنفى، وتباعده عن الوطن والحبيبة.
هناك تماثل ظاهري بين هذه القصيدة وملحمة اوديسا، الا ان التمعن في البنية العميقة يرينا اختلافا وانزياحا ، في بعض المواضع ، عن النسيج الاصلي للملحمة، فأوديسا رفيق صابر ينوي العودة والوصول الى بينيلوبي قبل حلول الفجر :

أود أن أعود ذات ليلة اليك
كئيبا أُعلي آثامي كراية بيضاء .

او يقول أيضاً :
أود أن أصلك قبل أن يحل الفجر
لأنثر احلامي كباقة زهر مجعدة على قدميك الناعمتين.
ولكن اه يا زوجتي العزيزة إن طريق العودة أطول من الحياة .

هەولنامەی کتێب

ففي الملحمة الاصلية التي اصبحت نواة لأوديسا رفيق صابر، تتم العودةُ وتُصَوَرُ لحظات الابتهاج برؤية الوطن وبينيلوبي الحبيبة ، اما في هذا النص الكردي المعاصر الذي هاجرت اليه ملحمة يونانية ، فتبقى الأشياء في إطار االنيات والتمنيات.

يتبين لي ان رفيق صابر يلجأ في لحظات قتامة المأسي التي مر بها واجتازها هو وشعبنا، الى استخدام الاسطورة والملاحم والرموز الصوفية، وكأنها هي الكفيلة بأيقاظ الهمم، ومحو الانهيار واحياء الروح الهامدة . هذا مابدا لي في إحدى دراساتي التي تناولت فيها تجربته ، فاكتشفتُ فيها دلالات توظيف التراث الصوفي والبعد الاسطوري في ازمنة الانهيارات التي أحاطت بحياة الإنسان الكردي وحلمه المنكسر وسعيه للنهوض من جديد.

اما على صعيد الشكل فقد انزاح نص رفيق صابر عن الملحمة اليونانية من جوانب عدة: ان هذه الملحمة في الأصل تبلغ أحد عشر الفا وسبعمئة وثمانية وثلاثين بيتا من البحر السداسي، وتتنوع فيها الاحداث والوقائع الجزئية وتتعدد فيها الاصوات لتكتسب بعدا دراميا وتختفى منها ذات المؤلف. أما في الاوديسا الكردية لرفيق صابر، فان ذات المؤلف تتجلى من خلال راوي القصيدة (وهو اوديسا) الذي يروي حسراته ، ولا تتنوع فيها الأحداث والوقائع الجزئية ولاتسمع إلا الصوتَ الوحيد لاوديسا لا غيره . هذه نقاط تثبث انزياح أوديسا رفيق صابر عن أوديسا الأصل الذي ينحدر من اصول يونانية.

ولاشك في ان هناك عشرات بل مئات الاشخاص، تحمل اسم اوديسا في النصوص الشعرية والسردية الحديثة لشعوب العالم، تنحدر بأشكال واوصاف واصناف مختلفة، من أرومة يونانية قديمة.

تتراوح قصائد رفيق، من حيث الحجم، بين الطول والقصر .تحتوي قصائده القصيرة غالبا على مشاهد ومقاطع ، تشكل كلاً شاملا متآلفا محتفظا بتناغم موسيقي وتناسق فكري واضح. وله تجارب عدة في كتابة النصوص المطولة كقصائد (ميديتاسيون ، وانشودة حلبجة، وموسم الجليد...) .

انتقينا ميديتاسيون وموسم الجليد ، للترجمة ضمن القصائد المختارة في الكتاب.

يستيطع الناقد أن يجعل من قصيدة (موسم الجليد) مثالا لسبر اغوار معالم أسرار القصيدة المطولة لدى الشاعر . في المرة الاولى، طبعت هذه القصيدة في كتاب خاص، وهي مكتوبة في العام 1987 وقد اهداها الشاعر الى زوجته ئيكا، ثم ضمتها اعماله الكاملة في جزأين، التي طبعتها دار رنج للنشر في العام (2006).

تتعدد فيها الأحداث والوقائع الجزئية ، وتلتحم فيها حكايات متناثرة بين أزمنة وأمكنة متعددة متباعدة (الماضي، الحاضر) وما يقع في احلام يقظة الشاعر وأمانيه المنقسمة بين الواقع والمتخيل. ويتكاثر فيها مستقبلون (ضمنيون) ، يستجيبون أو يصغون الى صوت الراوي الوحيد الذى يوجه كلامة تارة الى نفسه، وتارة الى أنثى قريبة منها، واحيانا الى الوطن، ومرات الى الطبيعة.

فالضمير المتكلم هو الطاغي في النص ، فتغدو الأنثى والوطن والطبيعة صورة مقربة إليه ، أو مرآة تعكس ملامحه وذاته.

يُشبه الشاعرُ والناقد السويدي المعروف (بو غوستافسون) ، هذه القصيدة بقصيدة (الارض الخراب) للشاعر الشهير (ت،س، إليوت) . اذ يقول : ان قصيدة (موسم الجليد) قصيدة معاصرة كبيرة لا تعكس الحالة الروحية ل (انا) القصيدة فقط بل تعبر عن الغربة والعنف السائدين في عصرنا..يمكن مقارنة هذه القصيدة، بقصيدة الارض الخراب ل (ت.س إليوت.)

ولا يخفى على معشر المشتغلين بالآداب والدارسين في مجالها ، مدى تأثير إليوت وشعره وطروحاته النقدية على الشعر في العالم.

لا تغيب عن بال النقاد أهمية (المعادل الموضوعي) الذي نادى به إليوت لتحديد موقف او حدث حتى يكون شبيها لصورة الإنفعال الخاص . كما لا تُنسى جهوده لمحاربة النزعة الفردية الطاغية، باعتبار ان الشعر فن لاشخصي ، وان الاعتناء بالشعر وعملية كتابته هو الأولى والأفضل. وكذلك تأكيده على ضرورة إطلاع الشاعر على الحس التاريخي و التراث ، بغية استيعابه واستثماره فنيا. فالشاعر الجيد هو الذي يعيد صوت اسلافه. وليس بمقدور المتابع الجاد أن ينسى ويتجاهل اهمية توضيحه الأصوات الثلاثة في الشعر: أي صوت الشاعر حين يخاطب نفسه، وصوت الشاعر حين يخاطب الآخر (كثيرا كان ام قليلا) ، اما الصوت الثالث للشاعر ، فيظهر في سعيه لايجاد شخص مسرحي ملىء بالحركة ، ليتكلم بلغة شعرية.

إننا نتفق مع الناقد والشاعر السويدي بو غوستافسون في قيامه بتشخيص تجليات إليوتية في قصيدة موسم الجليد، وخصوصا (الارض الخراب) التي خلفت تأثيرا واضحا على قصائد وعقود واجيال وشعراء من مختلف انحاء العالم، وخصوصا في الظروف

التي ساد فيها الجدب الروحي والخواء النفسي ، وتفاقمت فيها أهوال الحروب والرعب والقلق والدمار.

حقا ان الضمير (أنا) في قصيدة رفيق صابر يهيمن ويسرد ويتمدد على جسد النص، ويجعل الضمائر المخاطَبَة صورةً لنفسه، او مرآة تعكس ملامحه وهمومه، غير انه لا يكتفى بأظهار نفسه وطرح همومه فقط، بل كما يقول الناقد السويدي ، يعبر من خلال نفسه عن الآخرين ، وينقل صورة العصر المهيمَن فيه الاغتراب والغربة والعنف . من هنا تتنامى الحجج ليطرح الشاعر السويدي رأيا يدفعنا نحو عقد مقارنات.

الأنا في هذا النص ، أنا ذاتي ونفسي وتاريخي وقومي وانساني. أنا يجمع بين تأوهات الذات الغنائية وسمات ملحمية ، لتجاوز الخوارق والمعوقات المتكاثرة وسط الواقع . وليس غريبا ان يتضمن النص بعدين متناقضين متباعدين، البعد الغنائي والبعد الشبيه بالملحمي.

فالتلفظ الغنائي، مثلما يقول دومينيك راباتي، ينهض على كثير من الاصوات المتقاطعة، ويبادله فيليب هامون رأيا مشابهاً، حيث يقول: ان الشعر الغنائي يتطابق مع تشظي ذات متعددة الاصوات. يصح هذا القول في الشعر الغنائي الحديث ،خلافاً للغنائية القديمة . فالذات في القصيدة الحديثة تتعدد وتتشظى وتتنوع، خلافاً للذات المتلفظة في القصيدة القديمة التي كانت واحدة ، مثلما يذهب إلى ذلك الناقد المعروف كمال أبو ديب .

بالنسبة إلى الأصوات الشعرية في قصيدة موسم الجليد فإن رفيقاً يخاطب مرات نفسه ،أحياناً يخاطب الآخر ، كالحبيبة والوطن

والأرض والطبيعة ، ،مع ميزة وهي أن صوت الأنا ينهمك في الحكي منذ المطلع وحتى الخاتمة دون أن يتلقى أي جواب من المخاطبين الصامتين .فالأنا المفرد المتكلم يصبح الضمير الجمع المتكلم، فهو يتشظى ليحتوي الجمع ويكتسب هوية جمعية .إن هذا التحول الذي يفرز التشظي المتمثل في مخاطبة النفس تارة، ومخاطبة الحبيبة والأرض والوطن تارة أخرى ،يخلق إيقاعاً موسيقياً سمفونياً ، وحركة دائبة في بنية النص تطرد السأم من نفس المتلقي .

إن تجربة رفيق صابر المتميزة في الشعر الكردي تستحق الكثير من الأضواء والكتابات المتنوعة .

لا شك في ان شيئاً قليلاً من الشعر الكردي وصل القاريء العربي عبر الترجمة ،وكلنا أمل ان هذه الباقة الشعرية لرفيق صابر تمنح القاريء نكهة أخرى متميزة من بستان الشعر الكردي الحديث .

عبدالله طاهر البرزنجي

ناقد وشاعر كردي

abdullatahir@yahoo.co.uk

مع الزمان

كأن الزمان يفلت من وحشته
وكأن الكلام يفر من معانيه
وأنت من نفسك
والحياة تتلو عريها
في الانتظار.

كوجهك تبهت الألوان أمام الزمان
وأنت تلمس الماضي كجمر مخدر
يهجد تحت الرماد
ترنو إلى الحاضر الحالي مثل دروب المحال
كأن البرهات متساوية في التشابه

هەولێر نامەی کتێب

والمكان فضاء فارغ

لا من الردى مخاوفك، ولا من الحياة

بل تهاب الزمن

لون واحد فقط

يسرد حكايات الجميع في الصمت

صوت واحد لاغير

يلتمع كالمدية في الظلام

مع الزمان كل شيء يغيب عن البال

مع الزمن لا يغيب أي شيء.

هدوالنّامي كتب

لوحة

الاحجار نائمة تحت المطر

والمدينة بين اسوارها العالية

عبر وميض ندي

أعود إلى البيت

تغوص قدمي في الظلام

فتوقظ الفراغ

تترك اثراً على الطريق الفحمية

فتشهد على الضياع

الليل يرسم وجهه باللألأة

اما انا فبصدى الكلمة

أرسم لوحة السكوت

هەولێر نامەی کتێب

هەواڵنامەی کتێب

المدينة نائمة تحت المطر

مطمئنة وسط لمعان الليل

وعلى رصيف الشارع

ثمة شجرة ترنو إليّ

اسمعها تحاور نفسها همساً

فأحس إنها تفكر في وحشة اطول ليلة.

موسم الجليد

مرة ثانية
أولعه المنفى بالود
غمسه في الغيم
وطهَّر من الغبار وجهه

مرة ثانية
أعاده الوجد إلى الطفولة
فحمله السر
تسلق قامة الضوء
وغسل في وابل النار
روحه الغائرة في الجليد

هەوالنامەی کتێب

في المساء
يحيط السرُ روحي المهتاجة
الوابل يمسح ملمحي الكالح
وفي سفح الريبة والقلق
أدس رأسي في فرع شجر اللهب
أدثر نفسي بالبَرَد.

غيمة نزقة تضيِّع الدرب في الفؤاد
ترطب بقع الدم المتناثرة على الجدار

وضباب المنفى

والمساء

والوطن

هەولێر نامەی کتێب

هذا الوطن المتقاطر يشبه كوى الجرح
يطل على تراشق الرصاص
كأنه سحابة كليلة
معلقة على بوابة الكون.

لايشبهك المستقبلُ وسربُ الأغاني
وكذا الذكرى والذبح
وحقول الثلج والتعليق
والغروب والغربة.
أنّى غطيت الأرصفة كأوراق الخريف
في هذا المنفى الطاعون؟

هەولنامەی کتێب

كلون الظمأ والمطر

أحتللت عمرنا المترب

وهوامشَ السماء والأفق

المنفى يتسع

أكثر فأكثر

الجرح يتعمق

والوجد يغدو: أكثر محالاً.

سأقطف نجمة أؤويها في القلب

أمام بوابة المنفى

يغطيني مساء

بلون واحد يقتحم

هەواڵنامەی کتێب

الغيث

والغابة

والذكرى!

أتسلق مرتفعات الشك

فيرتطم بالأفق رأسي

وبين

السماء اللازوردية وأعماق عينيك

أضيِّع مسافات وتخوم الألوان،

أتناسى

المنفى

وغلس المستقبل

والأشياء.

هەواڵنامەی کتێب

روحي المغامرة

يحيطها السرُ

فتحيلني الى حقول التيه والوجل

كما البرق تبللني

تحيلني الى الفحم والرماد

أيا وطني

كيف أتآلف والوقت؟

أيا وطني

كيف أتآلف والصوت؟

وكيف مع اللون أتآلف؟

أيا وطني!

وكم مرة أخرى علىَّ أن أخوض الموت في هذا المنفى؟

هەولێر نامەی کتێب

2

علىَّ أن أتذرع بالغيم

كي أروضَّ البرق

أطالع دفاتر التراب والزوبعة

عليَّ أن أتذرع بالغيم

كي أجعل من الشِّعرَي (1)

و الأعالي

والسفح رفيقا ومحبا

لابد أن أتعلل بالغيم

كي أجعل الكون عشا

وفي الروح أصهر الحدود

كما الصخور .

هەواڵنامەی کتێب

3

في ظلام هذا الليل

أعلق على غصن الليل فانوساً

أجني نجمة

واؤويها في ثنايا القلب

وتحت مساقط الشوق

أطهر آثامي العريقة!

إياك أن تعبر فوق هذا الليل

وإلا فتغوص في جداول الغربة

إياك أن تمر فوق هذا البخار

والا فتنحصر في أزقة الخريف

هذا مهوى الاحتراق

وليس ديار المودة

إنه سقيفة التراب

وجزر السقوط والشكوك.

هەولێر کتێب

هەواڵنامەی کتێب

واقف أنا في استقبالك

كجثة تنتظر النعش والكفن.

الشك يقض مضجعي

فيرسلني الظلام شعاعاً

ملمحي المضبب كوطن قريب مني

كوطن تغربت فيه يغدو واحة الضياع

والمخاض

والمديات.

هەوالنامەی کتێب

واقف أنا في انتظارك

يدهمني السر

ويرسلني الظلام للمدى شعاعاً

الملكة في خضم النعاس تفتح عينها

وأمام مرآة الجليد

بمشط الغيث تمشط جدائلها

سيوه خان!(2)

الليلة سأرسو في كون عينيك.

قادم لاحتويك بالقبل

سأسرج البرق وأردفك خلفي

أتسلق كتف الغابة

وأعلق على غضن الليل فانوسا

وبين قمتين متباعدتين

سأجعل من غيمة أرجوحة

ومن خيمة بلا تراب ووتد،

وكهف

ملاذا

هەولێر نامەی کتێب

وظل شجرة عشاً

الى أين أمضي بك يا سيوه خان!

وسط هذا الليل العاصف

أنّى بمستطاعي بلوغ كردستان!

-مستهامان محرومان من الوطن

يحزان سور المدية

ينشدان انشودة المحال

مستهامان شرقيان

يرفعان راية الكلوم

هەواڵنامەی کتێب

يلوذان بالحقل

يسهران على الكون

عاشقان بلا وطن

متمردان

جائعان!

كحصانين نما لهما جناح

نعدو عبر وطن ليس لنا

نخطو فوق الدمق والضياع

نلّم في القلب نجمة

نعلق فانوسا على غضن الحلم

وأغنية على قامة الأفق الفارعة.

المطر يمسح محيَّايَ الباهت

كدليل جاهل تضيعني الدروب

والحدود تتكالب عليَّ كقطيع ذئاب استبد به الجوع

يسحبوني على مغسل الجمر

خلف سيارة عسكرية مغلولا يقودونني

نحو فلوات السكين.

إلى أين أمضي بك يا سيوه خان؟

هذا الزمن:

لا يؤوي الفارين

ولا من ينهبون النساء(3)

يا سيدة روحي المجنونة!

إلى أين أذهب بك؟

ان كرنفال القتل هذا أعد لنا؟

ولرقابنا الطافحة بالخدش

هذه الانشوطات الخشنة؟

إلى أين أمضي بك

ذلك قرع روحي فاكسريه!

هذا قلبي المفعم بالأوجاع

أنىَّ أبعث بقلبي لك

كيف أنجيه

عبر هذه الألغام

والكمائن

لدى من أودعه؟

الملكة تفتح في الوسن عينها

وتؤرجح مهد المستقبل

أعرف

أن حبك

طوق للأبد حول رقابي.

الحياة منفى بدونك

والمنفى نفق الموت.

ليلاي حجافل التاتار

تضيعني في ضباب القرون.

مؤامرة وزلزال

تهدم بلدان الروح

حلم نزق هي

يقودني نحو المحال

أعرف ذلك

أعرف

في ظلام هذا الليل
أعلق فانوسا على غضن الحلم
وأخفي بين موجتين رأسي الكليل.

ثانية أعاده الحب طفلا
ثانية احتوته الريبة..
وبين النبع والسراب
آثر ولوج الغاب
مطلقا ذراعه تتدلى على المحال والتاريخ.

4

أتقدم نحو التخوم

فيتبعني خيط دم كحية رقطاء

وتلتف بقعة غيم بقدمي.

أتقدم نحو التخوم

أنحت على شجرة قامتي

وروحي على صخرة مرتفعة

أين نعاود الشروع

وكم غابة وقمة وحدودا علينا أن نجتاز

لننزع من جلدنا هذه السماء؟

وكم مرة ينبغي أن ننهض من القتل

لنمسح آثار الضياع

والرمح

والمنفى

آثار السياط والاغلال؟

في فلاة ضيقة

قادني سراب ممسكا يدي

فسال جدول من الرمال على غرف قلبي

تيهني الظمأ عن الدرب

دعيني أدحرج جنب هذه الخرابة

قطعة غيم نحو الجهة الأخرى.

وأجترح بداية للجرح
ومعنى للعدالة.
استنندنا الى الافق
فأضاعنا موج الضباب
استندنا الى الدخان
فعصفت بنا ريح خريفية عاتية

وَلِمَ عمرنا حقوق تسلب فقط؟
وحلمُ أوان صعودِ المشنقة،
إنتظار الرمي والسلخ
لنزرع هذا العمر المكبوس في الندى
ونشعل أيامنا في الضياع

ونروَّض الروح بالجذوة.

هذا العمر المحلوب

لنشبهه برهة بالدوامة!

اخطو فوق موتي ونعشي

فيقطع علىَّ الظل دربي،

خيط دم

يزحف خلفي كالثعبان

جنب سفح اللهيب

استند الى صخرة

وأعاين أفقا يفوح منه عبيرك

برق ما يرسم في السماء خيطاً

فيتشقق الأفق.

وكطفل فزع القي برأسي في حضنك

وأدثر ملامحي المصفرة بجدائلك المبللة بالغيث

أنى ارتضينا بهذا القتل؟

إننا لَمْ نُخلف وراءنا أثرا على حقول هذا المطر

لَمْ نزرع شتلات أغنية

ولَمْ نجعل من سقيفة ظلا بارداً لهذا الإشتعال .

ومن أسلاك حارسا يواسي هذه المقبرة ؟

كيف ارتضينا بهذا الاحتراق

بعدنا

لَمْ نصَّير صرخةً فوق قمة رايةً وعلامة،

والقمرَ شاهدا لدى الزمان!

فكيف ارتضينا بهذا القتل؟

كيف ارتضينا بهذا الاحتراق؟!

ليلاي ترش الماء على الشتلات في أنقاض الروح
تمسح ضبابا غطى نافدة القلب
ووَجَلاً يعلو وجهي
وتحف العمرَ باللهيب

ومازلت أنت سيدة هذه الروح المشتعلة
ومازلت أنت لحن هذه الحنجرة المبحوحة
ومازلت أنت الحلم النزق لهذا الشاعر الملاحَق
وسيدة هذه الروح المعلقة .

كحصان يحلق نركض في وطن
ليس لنا
بين قمتين

نجعل من غيمة ارجوحة

ومن خيمة بلا تراب ووتدٍ ، وكهفٍ ملاذاً

كحصان محلق نهرع تحت المطر!

إلى أين أمضي بك يا سيوه خان

ما أبعد اللقيا في ليالي العواصف ووابل الأمطار

من أين نستأنف

كم مرة اخرى

نغني ملحمة فقداننا في ميعة العمر؟

كي نفصل السماء من نظراتنا

والدم من القطن

والحبل من الرقبة

الضباب من القمة

والسكين من الجراح!

كم مرة اخرى

نتسلق البرق ونهبط الاشتعال

نحفر على شجرة البطم قاماتنا

وحناجرنا على صرخة!؟

كم مرة اخرى

ننهض في كرنفال السقوط

ونجدد على دروب الذبح المسير!

حين لممنا شملنا تحت هذه السقيفة

كان التاريخ لايزال سرابا

يُضيّع عشاقه.

حين دلفنا إلى هذه الغيمة

كان التاريخ لايزال مطرا يهمي على المستنقعات الآسنة

أو كان خادما مخصيا

يعبث يجسد الملكة الناعم

كان التاريخ لايزال غابة....

كان لايزال أوساخ الايادي الملطخة

كان التاريخ لقيط السياسة.

جنب هذا المرتفع والصخر الصلد أخطو

في راحة يدي يشرع السر نفسه

يرطبني برق

للصحراء يصيِّرني ظلا بارداً

يصيِّرنى القتلُ الاعور

شقياً

حفار القبر

و قاطع الطريق

سادنا

كناسا

فوضويا

تركيا جبليا(4)

قاتلا

حَمالا

ذئبا

مماثلا لمقترفي الآثام

ـ من هؤلاء

يطاردون الكرى بلا ميعاد من أعين القرية والصغار

+برابرة تجمهروا لتلاوة الصلوات الاخيرة (5)

أقحموا عنوة في جنبات القرية

ـ مَنْ هؤلاء ؟.. من سلالة أي وحش ضار ينحدرون؟

يسرقون الرضيع من حضن الأم

والقبلة من شفة العاشق

+آتون بتروسهم وسيوفهم

يقتحمون عتبات دورنا

يجبون

الضرائب

يسلبون منا الحسناوات

برابرة تجمهروا لأداء الصلاة الأخيرة.

الوابل يمسح محيَّايَ الباهت..
يحملني بخار الدم
ويقطف نظراتي.
في سفح الاشتعال والقلق
أدس في غضن اللهب رأسي
أدثر بالبَرَد نفسي.
لِمَ َتجدون للآن أفقكم القادم
وسؤددكم في تعليقي!؟
تجدون في مذلتي حضارتكم وتاريخكم!؟

- من أين نستأنف؟

كم مرة اخرى

ننشد ملحمة موتنا المبكر

كم مرة أخرى

نفيق من الردى

كى نمسح آثار الضياع والبرابرة؟

كان مساءاً

حين جئنا

كان هذا الزمن مشتعلا في الغاب

معلقا على الشاهدة والمنارة

حين جئنا

كان الزمن سياط البغاة

بضاعة سوق المتمولين
ودعبولة تعبث بها أيدي الآثمين
حين جئنا
كان الوقت مساءاً

في فلاة ضيقة جرَّني سراب
سالت في سويدائي جداول الرمال
فاحتلني الظمأ
ـ يا أخي تنكب سلاحك!
ـ يا أخي تنكب البرق!
نغم في هذا السفح، رويداً رويداً
يهبط الروح. نغم يعيد لوجهي نداوته
وإلى شعرات رأسي البيض سوادها.

يجعلني عاشقا، طفلا في حضن امي المتواري

فتدفئني هنيهات.

رضيع حين أبصر النور

ألبسته الأم عريها

ألقمت فمه ثدي المسغبة

وحين حبا،

منحت قدميه الحفوةَ

في الليل تغفو المسافات

وتذوب التخوم

جنب هذا المرتفع الصلد

أخطو فوق مماتي ونعشي

ألتقط نجمة أؤويها في قلبي.

في كرنفال الاحتراق

يوقدني وابل المطر

ينسيني أوجاع المنفى،

يرجعني الى (به رده قارمان) والسليمانية(6)

ومهاباد

وغدير وان

وأنقاض قلعه دزه

يوقدني وابل المطر

يصيِّر ذراعي سقيفة للغضب،

بالبرق يغسلني.

يا أخي تنكب سلاحك!

وأرشق التاريخ وحضارة الغاب!.

يا أخي تنكب سلاحك!

5

في هذا الاقليم الحجري

يخطو فوق أنقاض التاريخ

يجعل من شجرة البلوط درعاً

كما البرق يؤرجح مهد الكون

كالغيم وأسراب الفجر يمسح الحدود

يطوق المدى والمسافات والقمم

يجعل من شجرة البلوط درعاً

وللأجيال

ينشد موال التمرد.

6

سحابة تعبر فوق هذه الارض الحمراء.

أنا أعصب وجهي بموجة، أحلم بوطن

ينهار ككثبان الثلج

القي برأسي بين جذرين ظامئين

علّني أجني حزمة من الاسرار.

بدونك كيف استطعت أن أرضى بهذه الهجرة؟

ومن أين فأجأنا هذا البرق الهائم

أزاح عنا دثار الظلام المتهرىء

ففضحنا على مرأى الأحباب والاعداء!

في هذا السفح الكث، اخطو فوق موتي.
واوقد نارا على قامة المطر،
كي أسرق الكرى من عين الحقيقة والكون .

أطفال حفاة وعراة يتسلقون شعاب الجهة الأخرى،
يرددون (أي رقيب والنشيد الاممي) (7).
أخطو في هذا السفح الكث
بذراعي الطافحة بالخدوش أغطي الافق المترب
كي ارفع رايتي
كالفجر فوق ذرى الرماد وكالسلم
على أنقاض التاريخ.
أين نعاود الشروع ؟

وكم ملاحم الفقد في ميعة عمر

ومواويل حمر غنينا

ولَمْ نمسح حدودا بين الخوف والحلم!

كم انهيار

وفوهة نيران

وقمة

اجتزنا

ولَمْ نجد فاصلا

بين الشبكة والسمكة

بين الانشوطة والرقبة!

جنب برد سفح نتوسد حجرا ناعما

وكشجرة البلوط الخبيرة بالدنيا

نتخفى بالغبار والضباب.

ننوي ان نعد هودجا لوطن كركام الثلج ينهار في المنفى

ننوي ان نسرج سرا، يصيِّرنا حزمة غبار ظامئة

تزرعنا في الكون. ونمنح الحياة والمستقبل

معنى..

نريد.. وننوي

لكنهم سرعان ما يهبون. فلا يكفي ليلنا لحلم

ثانية يستهدفون جرحنا..

من جديد يطهرون الأنهر بدمائنا الباهتة!

أي زمن وغابة هذه؟

أي نباح وعصر هذا؟

ما شأننا نحن بعرس الذئب والدجال

لِمَ نصبنا في طريق هذه القافلة خيمة الجروح؟

إنهم يجدون سؤددهم و ضالتهم في شنقنا.

يصطفون

ليجدوا وجودهم في عدمي.

هو لاوو.. لا وو، هو لاوو!(8)

كيف تطيق هذا الموسم

وحتام تحمل صامتا، صخور جرحك؟

حتام ترفعها بوجه

الفاجعة

والأسر

وكبوات التاريخ؟

لو كانت جروحك لوحة

فلِمَ لا تؤطرها ؟

إلجمها

إن كانت خيلاً!

أرها الفارس

إن كانت ملكة!

إن كانت غيمة، او صحوا

فابتكر لهما سماءاً

إن كانت بيدرا او خيمة

فحرر لهما شبراً من الثرى!

هو لاوو!

لاوو

هو لاوو!

في الليلة التي عدنا من المدينة منهكين.

ضَّيع الدمقُ علينا الطريق،

قادنا الجوع الى سفح. قرعنا باب كوخ بأعقاب بنادقنا وأقدامنا الملطخة بالطين

طفل عار وحاف،

ذو شعر عسلي فتح لنا الباب صارخا!

ـ أيها القَتَلة!

ألم تقتلوا أنتم أبي؟

ولِمَ قتلتموه؟!

أيها القَتَلة!

صبي أحمر ذو عين زرقاء، وشعر
عسلي، لَمْ يعرفنا فطَرَدنا شَر طردة،
خلل نهنة الوجع، أمطرنا بالشتائم
ورمانا بقبضة من البصاق.
صبي أحمر ذو عين زرقاء، حاف وعار
لَم ْنعرف أي شهيد شاب خلَّفه..
لَمْ نعرف لِمَ قتلنا والده؟!

ولكن أحقا إننا قتلناه؟!
مَن أوقد هذه النار في روحي؟
مَن غسل بدمائي السفوح؟!
اختلس مني أحلامي الباهتة
وصَّوب جراحي؟
من غسل بدمائي السفوح؟!

أيا سحابة السفح!

أيا ظمأ القمة والنهر!

هذه الليلة يحل عليكما ضيفاً

سرب من النعوش المهملة

فاسهرا عليه

أبعدا عنه البرابرة كيلا يُنكأ جرحُه مجددا

فجراً انثرا عليه الأنداء

دَثراه بالقزح

والسحر.

أيها العصفور والقمة والصراخ!

أيها الظمأ والرمل والصخر

أنكم تعرفون القَتَلة

فبكم تليق الشهادة.(9)

انكم تعرفون القَتَلة

ما شأننا نحن بعرس يقام للذئب والدجال؟

لِمَ نَصبنا في طريق القافلة هذه خيمة الكلوم؟

أيا روحي

فَلِمَ نخضب الشعر القذر بالحناء؟!

اننا نسلك ثانية دروب الجمر والألغام.

كيف لاتعرفين أن

"لا حديث عن البحر في هذا القفار"

كيف لاتعرفين ان

"لا حديث وخبر لدى الصوفي المتزمت عما يحمله المستقبل"(10)

د لاوو.. لاوو.. د. لاوو

كم قرنا وهم يخفون أنفسهم في جلد الأغنام

كم قرنا وهم يخفون سيماهم

وراء الاقنعة

والخمار؟

كم قرنا مضى وهم يخبئون

السيوف

والخناجر المسنونة

وضغينتهم

تحت أكاليل الزهور؟

ده لاوو.. لاوو.. ده لاوو

حتام تحمل هادئا بيدر هذه الآلآم؟

كم مرة أخرى

ترفع جرحك

بوجه الردى

وموسم الغاب ؟

هو لاوو.. لاوو.. هو لاوو

المنفى يتوسع أكثر

والحب يزداد امتناعا ومحالا

والجرح

يزداد عمقا

أكثر فأكثر

أيا وطني

من أين نبدأ ثانية؟

كم مرة أخرى نحفر على الأمواج قاماتنا

وحناجرنا على صرخة ؟

كم مرة اخرى

نرتقي البرق

ونهبط الاحتراق!

7

أتصاعد فوق كتف البرق

وأتأمل في الظواهر،

أودع لدى العاصفة هامتي

جنب أبعد قمة

أد حرج نحو سفح المستقبل

أيامي كصخور وجلة.

أتسلق كتف الغابة

وأودع رأسي لدى الحسام

وعبر ضباب الشك وغيمة رَسَت

أدجرحُ نحو الوادي اللامتناهي

روحي النزقة التي فقدت الظلال.

8

أرمي رأسك على صدري البعيج
كي استنشق نفسا عميقا ونقياً
أود لو أرسم في حلمك البنفسجي والأحمر
لوحة الوطن باللون المائي.

ارمي على روحي النابضة هامتك
كي أبصرك
علني، لمهلة، في حلمك الطفولي الكالح
أحتضن الوطن
وأورجح مهد المستقبل
وأرفع يدي الغاضبة

في وجه العصر،

وأشَّبه بالبرق نفسي.

الليلة يا روحي

يظل باب روحي مشرعا حتى الفجر

ليذرعها طغاة التاريخ جيئة وذهابا

وتستكين فيها الكلاب السائبة والطيور التي فقدت الأعشاش .

الليلة، يقصدون سفح روحي

الطغاة وأغبرة العصور

علها ترتاح هناك.

أعلم، فجرا، تترك ككأس الحانة

مثل رباياً منهارة.

أعلم..

وحدك سيدة هذه الروح المشتعلة

لحن هذه الحنجرة المشروخة

نفس الحلم النزق

لهذا الشاعر المطارَد.

في ذلك السفح يتدلى الموت كفارس متشح بالسواد،

كسرب من الضباب، يحط على نافذة غرفتي

يحييني، أتجاهله

لَمْ أنته بعد من أغنيتي

لَمْ أسق بعدُ عين ليلى إلى شواطىء الحلم..

لَمْ أحرر بعد جوابا لرسائل الأعزاء.

أعرف، التاريخ لايزال غابة، او زريبة أحصنة الطغاة،

لكنني لاأزال الليلة أسرج البرق وأردفك

خلفي.
ثانية أجعل من شجرة البلوط درعاً وبساعدي المفتولة
أغطي الأفق المترب المستلب،
وأرفع رآيتي كالفجر على قمة الرماد
كالسلم على أنقاض التاريخ
فجأة يُبللني برقٌ
فأهبط في السماء البنفسجية
عبر الاحتراق!

محص صدفة كان إذ لم أصبح شهيدا
على يد فدائي نحيف شغوف بالشعر.

محض صدفة
إنك رسوتِ كطلقة طائشة

في قلبي

محض صدفة..

أعرف ذلك يا روحي

أعرف

(أي مَربع حافل بالصراخ بدونك)(11)

هذا المربع

وَكَم يفتقر الى الأمان بدونك هذا الزمان!

أعرف

نحن عاشقان بلا وطن

نحز أبواب سور المدية

عاشقان تمردا في هذا الوطن

يغنيان مقام المحال

عاشقان شرقيان

نرفع راية الجروح

ندخل الغابة

ونسهر على الكون

لتنصرف هذه الغيوم حتى لاتبلل

ذرة رمل محترق على سواحل قلبي.

ليسرق الخَونة والجنود والطائرات المسعورة

قبلَ شفاهنا فأبقى وحيدا جنب الأطلال.

إني أعرف متى ما طوى هذا المسرح نفسه

فجأة علىَّ أن اجمع القناني الفارغة..

وأطهر هذه الأمكنة.. أو أقرب

بيدي المرتجفة رقبتي نحو الانشوطة،

وأغَّيب في فؤادي خنجري

ومن جديد

أنشد وأردد لاوك موتي في ريعان الشباب(12)

وانت يا (مادونا)ي المتشحة بالسواد،

وحيدا تَجّرين عربة العدم،

تغسلين غروبي في ميعة العمر بالدموع

وتغمسين الحياة في الأسى..

أعرف ذلك

لكنني أحبك..

جئتك الليلة لأنشد جنب جمرة معروضة تحت المطر

أغنية نزقة لطرفك اللازوردي

وسط تعالي نباح الكلاب والآثام

أنزل لصدرك حزمة من النجوم

على صخور الظمأ أنقش ملمحي

أصد درب الوابل والسيل.

أيَممُ وجهي صوبك عبر الصخب والنباح

أقطف حزمة من النجوم.

أحيل الى هودج البكاء رأسي

أرفع راية البرق

في فلاة الجليد

بين الهدير والموج

أعلق على قامة الريح قنديلا

وأسلك معك درب المحال.

مرة أخرى أولعه المنفى بالود

وأعاده العشق الى الطفولة

وفي ظلام العصور

حمله السر

بين النبع والسراب

أشعل فانوس الشك والمحال

تسلق قامة الضوء

وطهر بوابل اللهب روحه الظامئة

ثانية

أعادة العشق إلى الطفولة

وألقى رأسه على صدر البحر

فتدلت على المستقبل والتاريخ ذراعاه.

1-الشِّعرَي : نجمة.

2سيوه خان:إسم عاشقة في إحدى القصص الفولكلورية الكردية .

3من أغنية فولكلورية كردية .

4-التركي الجبلي:قبل سنوات كان النظام التركي يطلق على الكردي إسم التركي الجبلي .

5- بتصرف من قصيدة للشاعر العراقي المعروف (سعدي يوسف):

البرابرة استجمعوا

للصلاة الأخيرة أربابهم .

انظر سعدي يوسف ،قصائد أقل صمتاً، دار الفارابي،بيروت 1979.

6-به رده قار مان: أي الصخرة البطلة،صخرة قريبة من مضيق بازيان على طريق كركوك- السليمانية ، قريباً منها حارب القائد الكردي الشيخ محمود الحفيد القوات البريطانية في العشرينيات، مهاباد و وان و قلعة دزه : أسماء مدن كردية أبادت قوات العدو ساكنيها.

7-اي رقيب (أيها الرقيب) و(النشيد الأممي) ويقصد بالأول النشيد القومي لدى الكرد.

8-هو لاوو..لاوو.هولاوو : عبارة تحوي اسلوب النداء والإستغاثة بالفتى الشجاع الذي لايخاف الأهوال والمصائب.تَردُ بكثرة في الأناشيد والملاحم والأغاني الفولكلورية.

9 –لا يتوفرفي الكلمات (العصفور والقمة والصراخ والرمل....) ما يؤهلها لأن تجمع جمع المذكر، غير ان الصيغة الكردية للقصيدة فرضت علينا ذلك .

10- من إحدى قصائد الشاعر الكردي نالي .

11- من قصيدة للشاعر نالي .

12- لاوك :من الأغاني الكردية المشهورة .

هجرة أخرى

كأن هجرة مباغتة أخرى تتأهب

كأن مصيراً آخر يرتقب

الجزيرة كسفينة تؤرجحها الأمواج

ويزحف القمر حالماً بين السحب.

يقظة هي الأشجار

والألوان من أثر تداخلها تتشابه

والدروب الموحشة أشد رعباً من النعوش

وأكثر حزناً من العزاء.

الأجساد اشبه بقطع أخشاب نخرة

والأوجه تضاهي الأحجار

والسلطة كدأبها ساطعة

الحقيقة خافتة على الدوام

كأنه جنون

أو ضرورة

ولا أحد يتساءل

علام نمخر عباب هذا البحر

مادامت أجسادنا تُرمى على الشطآن

لا أحد يتساءل

ما الجدوى من هذه الطلاقة!

وأنت الذي تأبى أن تعيرك (افروديت) جناحين

لا يهون عليك الاعتقاد:

ان المكان خراب

والزمن أعمى حين يهرع.

البداية

أغمض عيني

لأرى

أرسمك على الماء

كل شيء يعير شكلك

بلُغتك أنت

يستنطقني النور

كأن الملمح جوهر

والكلمة استهلال الجمال.

لا تبلغ الليل يداك

لا تبلغ الليلَ يداك

فتجعل الورقة سجادة للصلاة

والوميض مرآة !

لا تبلغ الليل يداك

أرتديت غيمة

وأناشيدك عبقة برائحة الإنتحار

أغانيك حوار السأم.

أي شروع هذا الذي لا يبلغ بابَ الشكوك

ولا الأمواجَ التي تشابهك؟

أي شروع هذا الذي
لا يذهب بك حيث خلوة الكلمات ؟

يداك لا تبلغان الليل!
والعمر حجر معبر
بين برك الزمان
أعبر جدثك !
إن بقاءك مجرد صدفة
في هامش الصُدف.

أطول من الحياة

ماشيا كالصدى أرتدي الفراغ، أغور في أحلام الصخور

أود أن أكتسب شكلي مثل قطرة من النور

وجهي شاحباً يغدو مرآة علاها ضباب البعاد

ودرب الحياة يقيس قلبي بمقياس

أين أنتِ كي تحملي قلبي

ترسمي صورة فضائي

وتمنعي سقوطي بإيقاعك

كالبحر يجري زماني هائماً

أمام الفلاة يتلاشى

ويستحيل

لوناً وظلاً وأحلاماً زاهرة

يغدو مفترق القول

والسكوت.

إنه ليل الكلام فأستنطق الصمت، لألأة الحقيقة، والقنديل هو.

هو الصمت حديقة المجاز والمعنى.

أسير... فيجاريني زماني.

في وجه الندى أبصر صورتي

نصفي كجناح الفراشة المتناثر تخلف لهدف المرمى ولعب الصدف

ونصفي بقى للتوغل في الغياب بحثاً عن المعنى والمصير

درب أطول من الحياة

أسير حاملاً زمني المبعثر كفؤادي

أود أن أقطع مسافتي الأخيرة

كخيط من النور المرتبك.

نافذة مشرعة

نافذة مشرعة بوجه الليل و الصحراء

المكان يسرد حكاية شيخوخته همساً.

وأنت في أنتظار اللاشيء تعبث بالظلام

كأنك تنوي إرباك الليل والطيور،

أو تصيَّر الظلامَ فخاً تصيد به المستقبل.

من الظلام يتعالى بخار، ومن ترشح النور ينبثق أريج، والليل يسهر على الحياة بفانوس أزرق. قد لا تصل الدروب أي مكان، لكن ذريعة الهجر تبقى خالدة، سلالة الشبح في سير دائم. الطيور المهاجرة تحمل النور، تبدع زمانها بالترنم، وفضاءها بالتحليق.

نافذة مشرعة على البعاد

والمكان مستند إلى الأبدية

ولاتزال ترتدي السكوت ناوياً

أن تخلد بالصمت الكلام.

تمرر كفك على أوراق أغضان غيرتْ لونَ أكتوبر.

فراغ عراء في دائرة الوقت تخلف للبلاهة.

مرج أزرق بين الليل والنهار لا نأنس به ولا يسعنا أن نبارحه.

الزمان حس في ذاتك

المكان منك يبدأ حتى الأبد

والحقيقة كخيط من النور

فيك تكمن.

القرية ومايحدث

1- نباح

ومررنا وسط رعب قاتل

على رسلنا كالشبح سرنا بمحاذاة الجدران

كأننا نجوس حياتنا والمصير

كان نباح شديد يَرُّج سكونَ الليل

ويوقظ القرية بأكملها

كانت منها

تفوح رائحة الذلِّ و الأثم

أمرأة أطلت برأسها من الباب

سرعان ما أغلقته

وكأنها ناوية أن تُجَّنب نفسَها مصيبة أو مكروهاً

ومن أقصى الزقاق

صوَّب إلينا رجلٌ نورَ مصباحه اليدوي

وما أن زجرناه حتى أطفأه على الفور

للحظات زاد من شدة سواد ليلنا

كانت الكلاب تنبح وتنبح بطلاقة

رغم اختفاء القرية عن

الأنظار.

2- الساري

لو زرتَنا المرةَ فَعدْ إلينا عبر صف أشجار الصفصاف

أخشى أن يعترضوا دربك المغطى بالوميض

فمنذ البارحة ليلاً حاصروا هذه الأنحاء

والبخار المتسامى من الدماء عكّر الآفاقَ ملقياً في الأفئدة حزناً
عميقاً ،
والخوف:
كفارس متشح بالسواد يمشي في الأزقة والطرقات
يطرق الأبواب المغلقة
فجأة تركتْ امرأةٌ عجوز صلاتها
وتوغلتْ في غياهب الظلام والتيه
بحثاً عن أثر أو نبأ لابنها
وهناك في داخل طلقة نارية
جنب صخرة
شيَّدتْ للأبد منزلاً يسوده الهدوء.

3- الانتظار

جاؤوا ...

فرسان ارتدوا ثياباً سوداء

مثل ظلال المساء سدوا الزقاق

وحاصروا السطوح

قيدوا الأحلام المعسولة للصغار

غطوا قريتنا في المذلة

ولا يزال الرجال (الجوف) يعقدون الآمال على الكلاب

لتحرس هذه الأنحاء

وتعيد إلى القرية سؤددها وهدوءها

كلاب لاتنفك ليلاً عن المقبرة

جاثمة قبالة النعوش المشوهة

تحدق خلف السور المهدم

خلف ظلال الفانوس

في السادن الذي يثقل النعاس

ناظريه.

4-الأثر الأخير

أضرم النار في كومة أغصان خضراء

ثم دثرها بمعطفه.

تساءل في سره:

كيف تعاظمت هذه الغابة

وشاخ أولئك الأنام

ومالوا على أعمارهم القصار..؟

أمس

كانوا في مقتبل العمر وجأش رابط

صهيل أحصنتهم

كان يهد الجبال ويرعدها

صهيل أحصنتهم

كان يمنح القرية الإباء والأمان.

واليوم هذه القرية المتناسية:

حزمة ضباب وسط الشمس

كأن حضارة الدخان قد غطتها تماماً

كأن الأرض التهمتها

باستثناء مقبرتها

لم يبق لها أي أثر..!

بورتريه فنان

الى ريبوار سعيد

بغتة كساحر تعبث بالأشياء
تعبث بتلك الألوان الجالبة معها الربيع والحلم والخريف
تعبث بتلك المواسم التي تتبادل الأمكنة على
الجسد دون مبالاة

بين أناملك
الحياة مندهشة
المستقبل منتظر
والغيب حيران.
انه زمن التأمل والتكهن
حين يستنطق الألوان،
الزمن زمن استيقاظ الجمال

الرؤى تمنح البصر معنى جديداً
والكلام ايقاعاً جديداً للأحرف

إذن أي نغم أو لون بوسعه أن
يبقى دون أن تحاوره أصبع
أنّى تبقى امنية نفس لايفصح عنها الملمح

في لعبة اللون والكلام
الزمن قبالتك مشرع حتى حافة الأبدية
المكان ملاذ يليق بالشفق
الفراغ مرتع الظلال الكليلة
الدروب، شعرة ضوء
في الغبش
موج لون يستطيل الى الأبد

ونزوة في جليد الجسد

إنها مهنتك، أن تذود عن الجمال حتى

أقصى البلاهة

انها حرفتك ان ترهف السمع الى حوار الجذر

وتحويل الشكل الى موطن الأماني والأسرار.

مهنتك أو قدرك، أن تحلم حتى

سواحل الجنون

العبث بالمحال

وايقاظ الصخور

النهار بقامتك يقيس نفسه

والليل بسهادك الحالم

وحده الغيب حين يوقظ الفجر

وحدها الحقيقة، حين تتأمل في تفردها

تماثلانك

الحياة وحدها بوسعها

أن تحاكيك.

أين أواريك

الى شفيق كريم

في ذلك السفح تهب ريح بيضاء
وتدهم روحي المتهالكة
تغطي أعشاب المقبرة
والعرق الذي يتلألأ على محيَّاك
ريح بيضاء تنثر عبر المساء الكثبان المترسبة على جرحك
تؤرجح شعرك الأشعث
مثلما تهدهد حزم الضياء الطافية على الماء..

انها بالرماد تغسل جراحاتي
وتسوقني نحو أفق الضياع المضبب
وتجفف أصابعي كالأعواد.

أنّى لي أن ألملم لجرحك حزمة شعاع

بهذه الأصابع المقرورة

أنّى أدون ملحمتك الحمراء

على الصخور وقامات المساء..؟

وقلبي هو الآخر أعتراه الجليد واللهيب معاً

فكيف أواري فيه نعشك..؟

ما كنت وحيداً

لم أكن وحيداً..

كان الليل نعشاً متمدداً بجنبـي

والوقت كان ضباباً وصراخاً بأسره،

والوطن كان قبضة ، غبار تتناهبه الرياح

أغبرة التفت بقامة روحي.

لم أكن وحيداً..

كنتِ ناراً.. تشرعين الأسرار

كنتِ كتاباً يقرؤوه البحر.

السير

مع حلول المساء

غادرت الغابة المصفرة

رنوت الى المقبرة

واحتضنت الجبل

ملأت قبضتي من الرماد

ثم حشرتها بين صفير الرياح الثلجية .

الليلة حتى أنفاسها الأخيرة

البخار المتصاعد من الكفن

يعلو محيا الأفق

تحت سحب الرماد

يميع قلبـي المتأجج

طال الإنتظار

ولم يهطل وابل

يغسل هذه الجذوة

ويطفئ بخار الثرى الدامي.

لَمْ يسقط ثلج غزير

ليغطي النعوش

والدروب القصية

ونحن لَمْ نسور المقبرة بأحجار..!!

مضت ليالٍ عديدة

وفوانيس المقبرة تكتسب لون الموتى،

والسادن مساءً يبكر في النوم

هذه الليلة أيضاً

ربما يفتح سرّاق الأكفان بضعة قبور اخرى(*)

ليطاردوا الكرى من عيون الموتى
ويتركوا القبور مفتوحة على مصراعيها
أمام البرد
ويدعوا الموتى عراة تماماً أمام الرياح .

* سراق الأكفان: عبارة مقتبسة ومبتورة من مَثَل كردي (الرحمة على سارق الأكفان) له حكاية معروفة ومتداولة .

الإبداع

من أين لك هذا النور كله..؟

متى كانت ليالىَّ مشعشعة هكذا..؟

وسمائي متى كانت بهذا القدر من الصحو

ونهاراتي مضاءة

واحتراقي متى كان بهذا القدر من الإشتعال..؟

أنَّى خلف العمر أثراً ما..؟

من أين لك كل هذا النور..؟

اللقاء

هيا لملمي الأمواج..!

لم تعد ههنا فسحة للتأمل والحوار،

وهل بقى للرنو مدى

وللروح ملاذ..؟

ماذا ترقبين

أنَّى يؤويك (هنا)؟

الغابة لايهمها

قتل الطيور

وأين يُعيد البحر أجساد الغرقى..؟

والشطئان أنَّى تصغي

الى صراخ الأمواج..؟

فيم إنتظارك..؟

إجمعي الأمواج..!

الكل في إنتظارك هناك:

الطيور المنتشية بالسفر

الناقلات بالمناقير النور،

الينابيع التي شقت أفئدة الصخور،

الشفق، والسحب التي تشبهك،

نجوى الفجر والغسق

البحر الجاثم تحت أقدام الأفق

زرقة السماء،

إخضرار الغابة الشبيه بالأفق والمرآة

الانتحار

والأوراق الذاوية على الأرصفة

والليل في أحضانك

جسد يمور

هيا لملمي الأمواج..!

حان رحيل آخر

الحلم هو الحادي

الجمال يبرر السفر

أنه زمن لقيا آخر.

ماذا تنتظر..؟

هناك يسكننا النور

انه مرآة مودتنا.

تحت المطر

نائم ظلك تحت المطر

كلماته تتلو البرق

المطر يغسل جسد الظلام

الليل مرآة

أندته سيماء خوف ما

سر شق النور

وفي كفيك

تنام نجمة.

قارئة الكف والصبي

ظلُ الأصيل خيَّم على الزقاق بأسره
الناس سارعوا إلى منازلهم هلعين
وأغلقوا الباب على أنفسهم
علهم يُمضون بأفئدة حزينة
ليلة أخرى على بؤسهم
وصمتهم!

من بعيد تناهى إلى الأسماع نباح كلب
على مقربة من المسجد
كان غراب ينعق بصوت مقرف.
فتاة كبيرة احتضنت طفلاً

لتسحبه نحو الداخل

قارئة الكف العجوزة

كانت تنتف شعرها أمام باب كوخ

وبصوتها المرتعش المفزع

كانت تنبئ بوقوع شؤم

وحواليها كان رهط يحدقون ذاهلين

لكن صبيا كان يتبول على جدار الجهة الأخرى

ويسخر في نفسه

من صراخ جدتها الساحرة

ورأسها الملطخ بالطين .

ليالي الكهف

طوال الليل ينهمر المطر

قريباً من دارهم كلب ينبح

أزاح الستارة وهو في فراشه

بغتة خلخل الرعدُ كثافة الظلام

جفل فيما الستارة تسدل

لكنه سرعان ما استدرك:

"دويُّ الرعد أشد رعباً في الكهف"

الكهف الذي كانوا ليلاً يسدون فوهته

بالصخور

ويسهرون فيما بينهم على نومهم الهانىء

يسهرون على اللهب والمحبة وبقايا عظام

شبيهة تماماً بالقصب ،

عبقة برائحة عهد مظلم

كجدار الكهف

كوجه مجدور

امتلأت بالثقوب.

إلى الوحشة

كأنها موعد لقيا مع الحرية: لحظة الوحشة
جسر بين النور والظلام
أو أنها لمعان الوقت والزمن.

الدروب مشرعة تتصاعد، الليل يرتدي الوميض
وأنا أسير عبر الوحشة
ثمة غابة مظلمة على الطريق
القمر يرمقني بنظراته
والأفق يترقب.

ألمح نفسي في مرآة الوحدة الصافية
حقيقة أنا، خالطتني الظنون
جسدي شامة زرقاء حفرت على الظلام
وروحي إن هي إلا قطرة في بحر الزمن.

كأن المصير سبقني

فأقصد نفسي عبر الوحدة

الليل إلىَّ يرنو

ليس أنا، من يحاور نفسه صامتاً،

لستُ مَنْ يغني ترانيم الوحدة

انها الوحشة تتلوني

أنا في الحضور قطرة من الضياء

والليل يتلألأ بلمعاني.

أنا قطرة من بحر الزمان

حقيقة خالطتها الظنون.

الظامئ

يهرع عبر الفجر

فيغطي ظله الفراغات

يندي الرمادَ

ولايزال ظامئاً

ظله

سحابة سائحة

وأرض يحومها الضباب

وتظاهرة الرماد

يهرع عبر الفجر

يقيسه بالشاهدة

ويرفع ظله كالوحشة على قمم التراب

ولا يزال ظامئاً

إنه قائد الوحشة

ولايزال ظامئاً

(وكل ما يثمر هو الضياء)

ولايزال ظامئاً

يهرع في الفجر

(وما يخلف هو الرماد)

ولايزال ظامئاً

ظامئاً .

الخطوة

يمشي عبر الاحتراق
يعلق على شجرة الظمأ أنشودته
يغمس في البحر أيامه

كالجورب
أو حزمة من الجراح.

يمشي عبر الدوامة
ينتقي اللحظات
عله يغطي بأوراق صفر
ماضيه.

الساهر

في زقاق الدمق

أسهر على هذا الهيجان

حتى ينبلج الفجر،

وكسرب اسرار ظامئ

أحتل سماوات الوقت

أحز أحراش الصمت

حتى حلول الفجر

في أقاليم الفوضى

أنشد ترنيمة هذا المخاض

وأقيس على هذا الاشتعال قامتي

أحيل السحابة الى قناع

ساهراً على المحبة والحقيقة

ساهراً على هذه الدنيا برمتها.

البحث

إنه

الغلس يجتاز الزقاق

يحط على أغصان الأشجار

وأنت وحدك

كدأبك في المسير،

عبر المكان

الذي تتضوع منه رائحة تابوت مندى.

تسير وتقصد نفسك

وكأنك أضعتها في مكان بعيد.

على حافة الغابة

وأنا أدنو من حافة الغابة

عاودتني اليقظة

تلاشت أغانيَّ عبر الغبار

وكان ظلي متبقياً

كسجادة الصلاة

على عبير نائم.

كنت في السهر وحيداً

كنار مظلمة كنت مشتعلاً

2

الليل كالصحراء

أحدث عراءاً

وأنا عبر الليل

كنت أحمل جسدي

وفي انتظار المحال

عرضت للمطر رمادي.

الليل استعار شكل الوحشة والغربة

في ذلك الآوان كان كل شيء يشبهني.

3

كان لابد من أن أبصر بذلك القناع الرمادي
نفسي التي تأججت كنار مظلمة
وأتحسس فراغاً مدوراً
طوّقني في شرود ذهني.

كان علىَّ
أن أثق
بتيه الروح
وكلال جسدي
ووحشتي.

في مكان الزمن
كنت معتقلاً
وحراً كنت في الفراغ .

4

في الوحدة أقمت فوضى في داخلي

ضجراً من السأم

سئماً من الوثوق

كنت أدير ناظري بحثاً عن يدي المتثلجة

التي ضاعت في ظلام الغابة

رنوت إلى نفسي التي كانت تمثالاً

من الوهم والكرستال.

كنت نديماً للسهر

شارة للبداية والانتهاء.

5

على حافة الليل

عاودتني اليقظة

كنت أنا ولم أكن

هناك

أبصرت كل شيء

حين كنت في تفردي

مرآة نفسي.

إلى أين يمضي بنا الزمان

الكلمات تدون نفسها

ونحن ندون ذواتنا.

إلى أين يمضي بنا الزمان؟

بوسعنا أن نتساءل

لكننا لاننطق

كأن الحوار لايجدي أي نفع.

في الطريق نرفع المكان

علنا نبصر الحقيقة: تكاثف الفراغ

نبصر الأبدية ، الصورة المستنسخة منا.

إلى أين يقودنا الزمان؟

فلا للردى يتسع وقتنا

ولا للحياة.

الرؤية

على جفنيك النور

وعلى يديك المستقبل

والليل خيمة مهجورة

يعمرها حبك

مددت للوميض ذراعي

أشمُ الليل

أشمُ ساق وردة متساقطة

وكأني بها ترتقب شيئاً ما

أشمُ بخار الغابة

والأمواج التي تعريها رياح الليل.

الفضاء في عينيك مرآة
والأسئلة لاتتلقى جواباً
والزمن صدى

أنا أبصر ما يخبئه المستقبل
ألمح الحياة والموت

النور على جفنيك
والحياة على يديك.

مرة واحدة

مرة واحدة

اخمدي لهيب رأسي المشتعل هذا،

علقيني جنب ظلال الألوان

صيِّريني لصراخ

خماراً وملمحاً!

مرة واحدة لاغيرها

اجعليني فجر سؤال

في غلس اليقين.

أغنية

من الليل حتى انبلاج الضياء

كأنه يتمرغ في دمه

يحكم قبضته على الريح والصخر والينبوع

من الليل حتى انبلاج الضياء

تظل عينه كوة الدجى ونبع الحسرات

ملمحه سراب

وتميل إلى السقوط خطواته!

لأنه ألقى على كاهله حتفه

يقطع درب الأبدية

وفي غبش الفوضى والتراب

يثمر أسراب الحقيقة.

لوحة

أبصر شكك على وجه الكلام :

إمتلاء الفراغ

لمعان قطرة نور

سنبلة استعارت لون الوميض

جذوة حالمة

نجمة تُرى ولاتُرى

خطوات الزمان

وحافة بلا نهاية

على الظلام انقش شكلك.

كان فجراً

كان فجراً كالآن

أجمل لحظة كان للضياع

أنت في انتظاري

وأنا كنت أبحث عن لاشيء

كان فجراً كهذا الأوان

لم تكن هناك شمس ولاظل

لاسكوت، ولا كلام

لم تستبن خاتمة ولا بداية

وحده درب مشرع

جسدان متعبان

شبحان لامعان

للحظة خارج إطار الزمان.

خلف البرهات

كان الغبش يسود وكذا الانتظار

كضرير كنت أحرك يدي

قبضتي امتلأت بالفراغ والشك

والوجل

واللانهاية

وفي أقصى المسافات

غبتِ أنت

فتوقف الزمن

كان فجراً كما الآن.

ميديتاسيون*

1

كالظلال راقد في السكينة

ساهر كتوهج النار، أرنو والذكرى كالبرق تتسارع

أبواب الرؤى مشرعة بوجه الغيب، بوجه الابدية التي تضاهي

الفجر في العنفوان

المكان كل موضع ولا موضع

الفضاء صحراء

الوقت كل لحظة ولا وقت

أنا في قرارتي أعاين ظلال الوجود

أفحص جذر رماد الماضي

وأرهف السمع إلى كلام النجوى

أبحث في نفسي عن بداياتي التي

لا استهلال لها كالزمان

ولا أثر لها كالحلم والصدى

خلف الأشياء أرمق الوضوح

أغمس في الفجر يدي لأوقظ الشعاع

يا تفرد الروح

ارفعني إلى ذرى اللمعان!

بحثي أنا كشف الضياع

حوار مع النور

عزلتي تأمل في التأمل

سفر سرمدي في الشكوك

في عزلتي تحررني الأماني

كلامي: رمز

وحدتي: إنطلاق النظر والسؤال.

يمكنني أن أسلم السراب غليلي

وأقول للنور:

إرفعني نحو حافة النهاية!

لأحرض الأشياء حتى تكتسب شكلك المنفلت من التأطير

كي أبصر في الأفق نفسي!

يا أماني الجسد أريني أبهتك

اكشفي عذر بقائي

ومعاني إنتظاري وسفري!

لدىَّ أنا كلال الموج

والكلام زنزانتي

والشفق صاحبي ونِدِّي في النجوى

ولكن أنّى يمكنني أن أشفي غليل التراب

بوحدي!

أنىَّ أفسر سفر الريح الدائم

في تموجات النور؟

أنىَّ أبرئ الذمة لِهَّم جسد أكثر ظمأً

من التراب؟

كيف أثبت حجة سفري ومعنى بقائي؟

كخيط ضوء ضال تعلقنا بالظلام وظلال الغابة القاتمة

يقودنا الضياع ، والأماني كالموج

تحملنا صوب الغياب!

ذاك مصير الجسد يُضيع الآفاق

في دهاليز الأثم واللذة

يدير ظهره لمطلعه وخاتمته

أطرافه تبهت كأخضرار ورقة

تحدث العراء والحسرة والفراغ

كيف نحاور الأماني

وقتما تغدو الكلمات أضيق من المعنى ؟

أنىَّ نبدع

التهيوء لفوات الأوان،

والشكل للتحديق؟

أي نازلة حلت بنا؟

الأشياء كانت مرآة مطالعهم

الحقيقة تمويه السراب

كعينيك أرتديت نقاء الماء وزرقة الصحو جنب الشفق

وكطفل هيأت للغيث

باقة من النور

على وجه الشفق الحالم

لملمت ألواني المتناثرة

على حافة التيه

حزينا كقوس قزح كنت أنتظر

شكل الاشياء كنت

ونورك أفق وعمران.

تعري

لأبصر جغرافيا الروح

وعلى جسدك أتلو آثاري

تعري

لألمح صفاء الغيب والنهايات.

لمْ ألتمس من أحد أن ينتظرني،

أو يتبعني

أستعاض النور عني فافصح عن النجوى

مساءً كان ينشد عبر أحزانه الأغاني

وكان البحر يحاور شطآنه والأمواج.

السماء ترنو الى أعماق نفسها

وانا في مرآة الموج، أحدق في نفسي

الهواء مشبع بنكهة الغيث

الفجر يلتقط ألوانه

والفلاة تردم الهوة بيني وبين الوجود

عيناي ترنوان الى عمقيهما،

يا تفرد الروح كن مرشدي ودليلي!

ذاك تلألؤك وقد أولعني

أم جسر الضوء القائم بيني وبين الأفق؟

انظر أي جنون يتناهبني

وأي خيال !

أنا السفر في التوقف

ولمعان الحقيقة في الشكوك

أهملت زمن فراق الجسد والروح

كصليبي حامل دربي

أشحت بظهري عن اقليم لا يبالي

فيخسر زمنه

اللانفاد مُنيَتي

وافترشت على الأشياء ظلالي

انطفائي اشتعال

والصدى صمتي

ووجودي جوهر الوجود،

ظَبتُ توازن الاشياء بهارمونيا الروح

2

الليل كصبي انطرح على ذراعي

أنا أطالع سهر الليالي

عابثاً أخلط ألألوان

أود لو أشرع وأفتح مسافة

للسفر والوحشة والانتظار

وأقصد المستقبل الذي يحمل الغيب

ربما زمني يطل من وراء الزمن

وتاريخي يبدأ خلف التاريخ نفسه.

أتأمل أعماقي

لأفصح عن نجوى الجسد

أثبت شرعية الاسئلة السرمدية للروح

أدير يدي بحثا عن جذور الفجر

فتشتعل الأحرف كالشموع على أناملي

حلم ما كقطرة من النور

يتلألأ على جبيني.

عبث كان حين أرحت الأفق على الفخذ
وكمرج ظامىء فرشت للمطر جسدي
والزمن كالذكريات كان يسير مسرعا
كنت أفتش الأروقة السرابية للمحال
وأدوِّن نشيدَ الموج
بغية إنارة النفس بالاعماق

كنت أهبط الدجى
وأتدفأ في قرارة الجليد
أو كنت على الأرصفة المضببة
ألملم حزيناً بياضَ الثلوج

أيُ عدل كان
أن أشيد بجسدي الفتي
ملاذا من التيه والفراغ
ومستقرا من الخوف!

وأن أدون بقدمي(الرضيع)

تاريخا على الحجر،

أو أهدىء بمفردي من روع النعوش

وأغدو غاسل الميت وحفار القبر والسادن بوحدي!

أي حرب خاسرة وغير متكافئة الاطراف كانت

كسيف رفعتُ ورقةً بوجه السماء

وصرخت قائلا:

لا أعرف بأى حق أتواجد هنا؟!

وأضلني النور

أي عدل هذا، ألوذ بالموت فيلفظني؟

أنظري

أي أثر تركت ساعداي على الصخور

والظلام والارصفة؟

إنظري!

أي فوضى أثارتها الصدفة
والضرورة أي بلوى تخلق

في ظل جوال لشجرة
أستند إلى الوحدة
أحاور شكوكي
كغضنين من الضياء مددت إليك ساعدىَّ.
انت ميلاد أخر
واكتسبت شكلَ الغيب

معك أصطحبت شيئا
لايشبه المغيب
ولا الليل
ولا الوجود
ولا العدم

البحر يبدع ساحله

وأنت استهلال زمني أنا.

أودعت لدى كفيك الساحرتين نفسي

ليس غيرك مصيري.

الدروب تهبط رواق الظلام متدلية

الحقيقة خيمة المتفوقين

والتاريخ مرآة السلطة

لِمَ يُفتتحُ كل رسالة بالحلم

ثم يختتم بهطول الدماء؟

تتماثل رسائل الارض والسماء

فلِمَ الارضُ ظلت أسيرة السماء؟

الحقيقة: سراب

فلِمَ للآن ظلَ الزمانُ عرشا للقتَلة؟

قبل قدومه مسرعا فات زمننا

لا المساءات لنا

ولا المستقبل ملمح الأسرار والأماني

عَرِّي نفسك!

ليبرهن الجسد سيادة الروح

أ هذه لعنة الريب أم اليقين؟

مادامت صورتي المقلوبة المضببة

مظهر وجودي

وما دام النسيان أصفى الحقائق

والوعي إسطورة

وما دام الردى الشاهد الوحيد

ولا نعرف أين نحن،

إذن أهذا هو الود بعينه

أم الضياء؟

الدروب تتدلى نحو أزقة الوجود

كسواقي الامطار تزول على شاطىء اللآشيء

سواء عندي

إن كان الليل مقمرا هناك أم حالك الظلام

يستوي لدىَّ الفجر والعشاء

هناك!

إني أحن الى أحضان أمي

الى أيام أشرعتُ فيها قبضتي للفجر

لاحقتُ الفراشة والصدى

سرقت من عيون الليل الكرى

وكنت أشِّيد دورا من الوميض

ولملمتُ الأنجمَ المتناثرة وسط الأعشاب.

ما دخلي أنا باسم وشكل صنمي

مالي أنا ولون كفني

وهوية قاتلي

لايهمني سواء أكان نعشي من الصفصاف

أم من الرماد

مالي وموضع جدثي

إنني أشتاق إلى أحضان أمي.

متى كان هذا السفر بداية؟

متى كان التيه بحثا عن النار

والمعتقد والحياة تجلي موسم النور وإبداع المعنى؟

متى كانت هذه الرحلة استهلالا

3

الأيام تنقضي وضباب أحمر كالظلال يغطيني

الليل على يدي ينحني.

يتخطى الظلام تخومه،

الأيام ترأب الصدع بيني وبين الوجود

الظلام يدون على جسدي آياته

وأنا خلفه أرقب

فأبصر ما يتبدى وما يختفي

أطالع أسرارا دوّنها الظمأ على الأوراق

والترابُ والماءُ والشمسُ على تسامي الأشجار

خلف الثواب والإثم

أهدهد أماني الجسد

أرنو إلى الفراغ

لأقرأ الوضوح

كمرآة مضببة، يعكس صورتي المضطربة.
ألوذ بكيمياء الأشياء
فيبعدني عني .
أنا نفسي ولست نفسي
والأشياء مثل صورها الباهتة
لاتماثل نفسها.
أنا قنديل دامس وجمرة من الجليد
صخرة ناعمة الملمس وغيمة قاحلة
شيخ نوراني أحاطه الأثم والظلام.

نعش جوال أنا أحاطتني لعنة الاله والندم
محاط بخوف ينهل من الحياة.
إلى أين يمضي بي هذا الفراق؟
خلفي أنا أنىَّ تبدو اللحظات؟
وإلى أين تمضي الآفاق وتبلغ؟

أزيحي الستارة

لينطق النور

وتؤرجحنا أمواجه،

وتفصلنا عن المكان والزمان

وتوقظنا

مجدداً أعود إلى ملاذات الروح الزاحزة بالشك والحسرة والإمتلاء والفراغ

أخيط المسافة القائمة بيني وبين المستقبل بالأسئلة

من أنا؟ ومن أين قدمت؟

أنا المغطي التخوم بين وجودي وعدمي

ماذا أنا؟ الذي ملأ الفراغات هذه

وظلالي مظهر وجودي!

كيف قصدت هذه الاعماق؟

أخطأ كان قد بدر أم هو نظام توافق الاشياء، صدفة أم عقاب:
عقاب قراءة الظلام وملء الفجوات عقاب التوطن في النور
عقاب أثم عناق الأفق والفجر،
العشب والندى، الشجر والمطر
وأنا والحلم
صدفة هذه أم ضرورة؟

أقبل الردى ولم تأتي أنت
أنا أهيم بالتحليق، فضائي سرداب
على حافة الجدول ينتظرني
أهيم بحثا عن النور وطلاقة روحي
دربي دائري يعود بي حيث حافتي.
ألم يكن ثمة درب آخر
يقودني نحو ضياع آخر؟

يُعرفني على موت آخر؟

موت يكون للزمن إيقاعا وللحياة تناغماً

أو نحو أقليم آخر يسوقني

ينبت فيه شئ آخر غير الوجل والظلام؟

إقليم أوسع من جدثي

ألم يكن فضاء آخر هناك لتحليقي؟

ألم يكن هناك موطن ظلام آخر على موته يزحف

لأسميه الوطن؟

نتجول معاً في المدن والجذر

أسهر عليه

جاء الموت

ولم تأتي أنت!

يمكن أن أكون في التيه والانتظار سجينا

سجين الشك

سجين الأثم والندم

سجين تآلف الجسد واللحظة والمكان

سجين الكلام الصامت الفارغ من المعنى

أو سجين وحدتي وتخيلاتي.

سيبيل!(1) أهو تكهنه أم حقيقة؟

بداية أم ختام؟ فلا أعرف أين أنا!

وأفقي جدار وأنا أنطحه كصبي شكس

برأسي

وأعرف إني من يشج رأسهُ ..

غير اني أترك فراغا وثمة عمق وهاوية في طريقي

أصيِّر هاويةً مكانا فينتظرني فراغ

ولكن..

منذ حلول المساء والريح تلاحقني

وتعبث بظلي المندى بالغيث

الليل ركز كمرأة مضببة قامته أمام وجهي

فأتفرس مندهشا مترقبا في نفسي المفعمة بالكلال والرعب والمطر.

تتمازج الذكريات

والأزمنة

فتمر المشاهد كالبرق

حفرة كبيرة بقدر الليل، عريضة كالصحراء،

قطعة حالمة من القمر،

قطيع كلاب بالنباح يفحص الليل

يعبث بأغضان الاشجار المتدلية

ويتشمم الوميض.

لِمَ أنا هنا؟

والريح ما بالها لاتنفك عني؟

في هذه الفجاءة من أين يهب الحالوب والرعد والوابل؟

إلى أين نمضي في هذا البرد القارس؟

كورديليا لو أتيت بالسم الزعاف

سأتناوله اعطيني إياه (2)

أهي حقيقة أم أحلام يقظة

انني لا أعرف لِمَ أتواجدُ هنا

ولِمَ أبتني موضعي من القش والجليدِ

وفضائي من البكاء

جَلّدي من الجنون

وحريتي من لاشئ

متى كان هذا موضعي ومكاني ومهنتي؟

هذا الظلام يمحو أماني الجسد

كالهجر والمذلة، يقتل رونقَ الروح

يحاصر الحياةَ بالوابل والرماد ورائحة الردى

يثبت العبث واللامعنى.

كيف أستخرج برك الظلام

وأزيل ما تراكم على جسدي من البقع؟

وكيف أبحث في الضياع عن الدرب

وفي الختام عن الاستهلال؟

كيف أدفن نفسي

بيدي الكليلتين اللتين أشك في كونهما لي أنا؟

ليس هذا شكلي

ليس هذا دربي

ليكن دربى يفضي إلى أي زاوية كان للدنيا

ليصبح نعشي رمادا

وجدثي بحرا.

4

ليلة مفعمة بالبخور، وغابة من النجوم

تسبح كالسفينة في أعماق الصحو

سرير من الوميض والاوراق الصفر

يعبق برائحة الجسد

راقد أنا في الطمأنينة غير عابئ كالنعش،

يمضني الأنتظار كحبة حصى طاردها الموج نحو الساحل

رياح خريفية عاتية

تعبث بالألوان

تهيج مع نفسها الأوراق المتناثرة وأمواج الظلام

تهيج النجوى وبقايا الذكريات.

انها ليلة مزججة بالمرايا

الأشياء ثملة بالتألق

الليل افريز يضاهي الجسد

مفعم بالحلم والتألق والتحديق

الليل قارب راس وأنا فيه كصياد سمك تعب

متمدد على ظهري.
الأحلام تأتي وتمر مسرعة في زقاق اليقظة
ترى أ مشرع الزمن كالحلم
أم هو مسيج كالسهر واليقظة؟
بداية سفري أم إنتهاء؟

الريح الخريفية العاتية تعبث بالألوان
وتترك على جسدي كومة من الأوراق
المناظر في عز تـألقها
تمضى مسرعة كأنها تنصرف لموعد او لقيا :
طفولتي التي ترنو الىَّ مثل شخص غريب
الموت الآتي عبر الأمواج
نصفه ليلي
ونصفة الآخر فضي كالوميض.

رائحة التراب التي تخلفها أمطار سقطت لتوها
رائحة الغابة الطرية، حيث تتفتح الورقة
بشدو البلبل وهمس الأنداء
سرب فراشات، يلاعب الوميض
في سهول الليل المضاءة
قطيع من الكلاب المترقبة، كعنقود نجمي يُري أعينه في الليل.
رهط من الفرسان جعلوا من الضباب أقنعة
شاهرين سيوفهم بوجه التألق والليل

نجمة منزلقة تنطفىء وسط البحار
النهارات ذات الملامح الخريفية، وهي
تضيع بلا أثر في شوارع القفر
ملامح خليل قديم: الأبدية،
التي تهل في فضاء الخيال

تمضي الذكريات كالزمن مسرعة

أبواب الرؤى مشرعة بوجه الصدف

بوجه الشك

والتألق

والأسرار الأزلية

كان ينبغي أن أنتظرك في مكان وزمان آخرين

أن يعزلني عنهما تألقك في فرصة أخرى

أنّى لازمت هذه الصدفة؟

أين فقدت اللحظات القصار للحرية؟

وفي تعقب الحلم والمحال

كيف غدوتُ رأس حلقة الآثمين

واستبدلت الحقيقة بالشكوك)(3)

تعري!

لأرى الروح أمام مرآة جسدك

تعري

ففي الوضوح أترعرع.

في فضاء الطمأنينة

كالجذوة يقظا أرنو الى أعماقي،

أرهف سمعي الى كلام الشكوك

أبحث عن جذور الوضوح

فيتلاشى لون وجهي

وعلى ابهامي كالشمع تتقد الأحرف

أرتعد كصبي في الظلام

كزجاجة مهشمة يتشظى ظلي الندي على نفسه

هائما وراء قطعي

أنسكب مأخوذاً في تيار النور.

إنك إبتدعت موسما للتساؤل والترحال،

حوارك كان مقترح الحلم والحرية،
تكلمي! لتعرض الاشياء تألقها،
لنبصرك على ذرى لاتنتهي
ونُعلي الحقيقة كمشعل.
الغروب فوق الجبل يترقب
والشجر، وظمأ الثرى، العشب، الشاهدة،
المعنى، أخضرار الاشجار، التساؤل،
والسكوت، شعاب الغابة،
أنا وكآبة الصخر.
تكلمي! لتغدو الحياة كلاما .

إذن أين أبحث عنك؟
أنت جوهر الاشياء
أنت البداية والمنتهى،

معنى الوجود والبقاء والزمان

الانتظار بك هو الظل والامل

الذكريات تمضي مسرعة

جنب الأفق أحاور الأماني السرمدية

أمام شلال الوميض الفضي أنشر جسدي كباقة زهر مبللة،

كغضنين من النور

أرفع ذراعي بوجهك

أنت فجر في الليل

وتألق الحقيقة في الشكوك

فيك تتكامل المعاني

ويمحو بعضها البعض كالأمواج

الأديان تتواشج

والأضداد تتآلف.

أنت ولادة اخرى اكتسبت شكل الغيب

وأنا في زمان آخر

كصبي عدت الى حضنك

بنفسجية هي البقع الندية لوجهي

ظلال القلب مشبعة بالضياء.

عدت، والوجد ينتابني في الخلوة

على مساقط النور أتقد

ولا أحترق.

أحترق وأنهض ثانية مثل العنقاء

خلل مخاض الإحتراق وكلال التحليق

ينتابني الوجد في فضائك

وجسدي الشبيه باللهب ينشد أغنية الروح

وهي تكسب شكلك.

أنت بلا انتهاء ولا خاتمة كالزمان

بلا شكل كالضياء.

وما شأني أنا

إن كانت البداية ترابا أم هواءً

نارا أم ماءً

بدايتي كانت قبساً من الجسد

ذاب في تلافيف الروح

قطرة من نور الروح

تشبثت بالجسد

معك تبدأ بدايتي

ووراءك تنفد .

*ميديتاسيون :كلمة غير كردية،تعني: التأملات أو الإستغراق في الذات .

1-سيبيلا:ساحرة في الميثولوجيا الأغريقية .

2-كورديليا:أصغر فتاة للملك لير في(مسرحية الملك لير) لشكسبير.

3- إشارة إلى قصيدة للمتصوف الكردي مولانا خالد النقشبندي .

الإسراء

حمل نجوى المساء معه ولم يعد

إنه الآن متمدد وسط زمن رمادي

رؤاه اكتسبت لون الخريف

الضباب ينتشر وينطلق

على جسده المسجى

على الأمواج

والدجى يحاصر حقل النجوم

ويردم الكون كحفرة غائرة في العمق

ويبصر عبر مرآة الامواج نفسه

يذرع الماء كشبح جيئة وذهابا

نسيم الليل ينشف عرق وجهه

يشمله بالأوراق المتناثرة

نسيم الليل يسوق معه آخر هنيهات الخريف

إنه الآن وحيد وهائم

كسنونو أهلكه البرد

وضيَّع الصيفَ

في بلد قصي

أمواج الليل تغسل جسده

بشرته الحنطية تجاري لون الصخور

كحالم يقظ يرنو:

إلى طيور مائية تشرب الضياء

على حافة الأحلام

إلى أمواج تتقدم البحار وتقودها

نحو مكان مجهول

إلى الفضاء الشبيه بخيمة مبللة بالمطر،

أو صحراء دامسة

إلى الوحشة

إلى الصخور التي تحيط نور العصور كلها

إلى الشجرة الوحيدة التي تسامقت فروعها في عنان السماء

إلى لحظات تتدلى كقطرة المطر

في الظمأ

إلى العمر وهو يتمدد خلل أنقاض الزمن مغطيا الفراغ اللامع

يرنو ويحدق في ذاته المستعيرة لون سحابة داكنة

أنا في البدء أبصرت كل شيء:

حين كنت أتعالى في الاشتعال

وابعث في الردى حيا

حين اشتعلت طفولتي في منتصف الدرب

وتاهت في دهليز دجى الرعب،

طفولتي انزوت في ركن للزمن

ولاحقت فتوتي عصافير سلبت منها الحرب الفجر وألاشجار
ككلب تحت مزاريب الأزقة
عرفت معنى الجور والمسغبة
نهارا، المساءات والفصول جربتها على حدة
كن يقطفن عابثات ورود العمر
تاركات إياى لوحدي كحبيبة تجفو حبيبها .
عرفت الوحشة
حين كنت أرتعد وسط الجليد هلعا كورقة متساقطة
وارتقب اللاشئ في لهفة
وأنادي من شدة وحدتي آخر نجمة متبقية من الليل:
لاتذهبي!
ذاك حضني مشرع كالفضاء
تلك يدي حاملة أجساد الليل
ذاك جسدي يطفح

كأصيل شتائي.
وحيد الآن يودع نفسه لدى الصدفة
كنجمة في أعماق الليل أضلت دربها

بحثا عن الفجر يفتش سويداء الليل
على شاشة الذهن يدون ذكرى ما
وفجأة تمحوها ذكرى حثيثة أخرى
مثلما تمحو موجة موجة أخرى.
يدلي بآخر كلامه للفراغ
ويحدق في قرارته
يسائل نفسه :
أنى تطمئنين الى الاشياء؟
أنى تستحمين في الضياء؟.

يسائل نفسه:

كيف توائمين المكان والزمن؟

هو الآن تعب ووحيد

كنهر يعدو ويعدو

دون الوصول

ظامئ كتربة قاحلة

يرنو إلى سحب:

تذوب

قطعة

قطعة

في فؤاد الليل.

برق ما يشق الظلام

وهو يملأ كفه بالنور

ويثبت وجهه تحت قطراته الندية

بغتة يحاصره الليل

فيسيل من جسمه الظلام

كشجرة هاجدة أفرعها تحت ركام الثلوج

كنار ثملة، يحدق في أعماق الليل

غير عابىء بما يجري

يرنو

ويوسع أحضانه للقدر.

حسرات أوديسا

إلى فرانس/ بعد 18 عاما

على سواحل البحر أترك المساء للطيور المائية
ككتاب أطوي الظلام
أود أن أعود ذات ليلة إليك
كئيبا أعلي آثامي كراية بيضاء
وأحلامي أنثرها كحضن من الاوراق المفتتة
على قدميك.

بينيلوبي

بينيلوبي يا زوجتي العزيزة
على إنطفاء الحرب زمن مضى وما زال
السلم غائبا
لا أتذكر متى تركتك
فقدت الزمن ودرب الأوبة

أرنو الى الأفق ولا شئ أتذكر

لا اللقاء الأخير

ولا أيام الحرب المرعبة

ولا كلال الضياع في الدوامة والعاصفة

لا يهمني الآن عقاب ولعنة (بوسيد ون)

الذي هيَّج علىَّ البحر

حتى اننى لا أتذكر أسماء أصدقائي القتلى

اولئك الذين لم يعرفوا لِمَ يتقاتلون،

لمْ يعرفوا ولم يسألوا

لِمَ تحتمت عليهم الحتوف؟

أي سؤال يجدي

حين يكون القدر قوسا في نشاب الاله.

******

بينيلوبي يا زوجتي العزيزة

إني أرنو عبثا إلى الأفق ولاشئ في بالي.

أي شئ ظل بعدك حتى أودعه لدى الغيب؟

أي سر لدىَّ حتى أعلنه للضياء؟

أقتفيت أثر خطى الجمال

الحلم ساقني نحو المرء

والحب نحوك أنت

لا برهة من الزمن أملك بعدك

ولا موضعا من المكان.

والاشياء تتباعد تباعا وتحدث الشرخ في الوجود والأعماق .

لَمْ أعرف ان الحب هكذا يحوي الحسن والألم

ويشعل نار هذه الحرب التي لاتنفد

لَمْ أعرف أن الفراق يحدث هذا الجرح السرمدي في الروح .

لو تعرفين أي مكان مترب جسدي!

وأي صحراء قاحلة روحي!

أود أن أصلك قبل ان يحل الفجر

لأنثر أحلامي كباقة زهر مجعدة

على قدميك الناعمتين

ولكن آه يا زوجتي العزيزة!

ان طريق العودة أطول من الحياة نفسها.

خسرت الزمان في سفري الأزلي

في جزيرة مظللة أرنو الى الفراغ

إن ربحت الحياة .... لكنني وا أسفاه

فقدت نفسي.

بينلوبي Penelope : هي زوجة اوديسا البطل. بعد حرب طروادة تعرض أوديسا مع رفاقه في طريق العودة عبر البحر، الى مصاعب ومغامرات كثيرة أودت بحياة جميع رفاقه. بعد انقضاء عشر سنوات من الفراق عاد اوديسا عبر أهوال البحر، وسعد برؤية زوجته.

الفهرست

1- حول تجربة رفيق صابر 3

2- مع الزمان 15

3- لوحة 17

4- موسم الجليد 19

5- هجرة أخرى 79

6- البداية..... 81

7- لاتبلغ الليل يداك..... 82

8- أطول من الحياة..... 84

9- نافذة مشر عة 86

10- القرية و مايحدث 88

11- بورتريه فنان..... 94

12- اين أواريك..... 98

13- ماكنت وحيدا..... 100

14- السير 101

15- الابداع..... 104

16- اللقاء..... 105

17- تحت المطر..... 108

18- قارئة الكف والصبي 109

19- ليالي الكهف..... 111

20- إلي الوحشة..... 113

21- الظامىء .....

115

22- الخطوة 117

23- الساهر..... 118

24- البحث..... 119

25- على حافة الغابة..... 120

26- إلى أين يمضي بنا الزمان..... 125

27- الرؤية..... 126

28- مرة واحدة..... 128

29- اغنية..... 129

30- لوحة..... 130

31- كان فجرا..... 131

32- ميديتاسيون 133

33- الإسراء 167

34- حسرات أوديسا 174